الفصل الاول

الخديو عباس الثانى بين السلطان والقنصل البريطانى

---

١ ــ ظروف تولية عباس الثانى أريكة الخديوية ٠

٢ ــ علاقة عباس الثانى بالسلطان (أزمة الفرمان) ٠

٣ ــ علاقة عباس بالانجليز فى العام الأول من حكمه ٠

٤ ــ الأزمة الوزارية ١٨٩٣ ٠

٥ ــ وزارة رياض وحادث الحدود ٠

٦ ــ وزارتى نوبار ومصطفى فهمى ٠

١ ــ ظروف تولية عباس الثانى أريكة الخديوية :

بعد ضرب الثورة العرابية صفيت الحركة الوطنية وركنت الأمة الى الاستكانة والخضوع ، وتضاءلت الروح الوطنية فى النفوس ، وأصبحت الحيـاة السياسية فى مصر تدور حول الخـديوية من ناحية وسلطات الاحتلال من ناحية أخرى وظل هـذا الموقف سائدا فى السنوات الأولى للاحتلال ، وقـد سارت انجلترا بخطوات واسعة فى تحقيق أغراضها الاستعمارية وبسط حمايتها المقنعة على مصر والتدخل فى شئونها .

وفى ٧ يناير ١٨٩٢ اشتد المرض بالخـديو توفيق حتى بلغ مرحلة الخطر [١] فى وقت كان فيه الموقف فى مصر دقيقا ، فسلطة الخـديو كانت ضائعة ومسلوبة لقضاء الانجليز عليها خلال السنوات العشر الأولى لاحتلالهم البـلاد ، والحكومة الموجودة على رأسها صنيعة الاحتلال مصطفى فهمى الذى يشارك الانجليز عواطفهم دون تحفظ [٢] والذى كان ممقوتا من الشـعب مكروها من الصـحافة [٣] وقد كان الانجليز يتصرفون فى شئون البلاد كما يشاءون .

ولخشية الانجليز من تدخل السلطان العثمانى فى أمر مصر بعـد وفاة الخـديو توفيق اجتمع السير ايفلين بارنج [٤] مع مصطفى فهمى رئيس النظار وتجران باشا ناظر الخارجية والسير ألوين بالمر المستشار

---

(1) Cromer. Abbas II P. 2 - 3.

(2) Milner. A. England in Egypt P. 132.

(٣) د. محمد نجيب ابو الليل : الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية ص ١٠٧ .

(٤) منح السير ايفلين بارنج لقب Pair فى ٢٤ مايو ١٨٩٢ ، وهذا اللقب يخول لصاحبه لقب لورد فسمى لورد كرومر من هذا التاريخ .

المـــالى وتباحثوا فى الأمر [٥] واتفقوا على استدعاء نجله عباس من فينا حيث كان يتلقى العلم فى كلية الترزيانوم وذلك لأنه أكبر أنجـــال الخـــديو توفيق .

وفى ٧ يناير ١٨٩٢ توفى الخديو فى الساعة السابعة وسبعة عشرة دقيقة مساء بسراى حلوان [٦] على أثر اصابته بحمى شديدة [٧] .

ولمـــا كان البرنس عباس نجل الخديو الراحل لا يزال فى فينـــا فقد أخطر تلغرافيا بالخبر كما أخطر الباب العالى [٨] وتقرر أن يدير مجلس النظار تحت رئاسة مصطفى باشا فهمى أعمـــال الحكومة حتى يصل الخديو الجديد [٩] .

وفى ٨ يناير أرسل البرنس عباس من أوربا تلغرافا الى مصطفى فهمى رئيس النظار أوضح فيه أنه سيصل على الوابور الذى سيصير

---

(٥) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، من ١٨٩٢ — ١٩٠٢ ص ١ .

(٦) الوقائع المصرية : عدد ٨ يناير ١٨٩٢ .

ويوضح اللورد كرومر أثر وفاة الخديو توفيق على الاحتلال بأن وفاته قوضت نظاما كان يتوقف وجوده الى درجة كبيرة على اطالة اجله .

Cromer : Op. Cit., P. 7.

(٧) محمود فهمى المهندس : البحر الزاخر فى تاريخ العالم واخبـــار الأوائل والأواخر ، القاهرة — المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٢ هـ ، ج ١ ، ص ٢٥٧ ...

(٨) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . القسم الأول من ١٨٩١ — ١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ أول جمادى الثانية ١٣٠٩ ..

(٩) الوقائع المصرية : السنة الحادية والستون رقم ٤ فى ٨ ينـــاير سنة ١٨٩٢ .

تحضيره فى تربيستة بلا تأخير وأنه على يقين من أن الأعمال فى الحكومة ستسير بكل همة ونشاط حتى يتم وصوله الى مصر (١٠) .

كما أرسل الصدر الأعظم العثمانى تلغرافا الى رئيس مجلس النظار بتاريخ ٨ يناير ١٨٩٢ أوضح فيه أنه بعد عرض أمر وفاة الخديو على السلطان وافق على أن يؤول منصب الخديوية الى البرنس عباس حلمى أكبر أولاد المرحوم محمد توفيق باشا ، حسب فرمان وراثة الخديوية المصرية ، وحتى يصل الخديو الجديد من أوربا ليتسلم مهامه فى مصر تكون ادارة الحكومة بواسطة رئيس مجلس النظار بالاشتراك مع الوزراء (١١) .

وعندما اتخذت المراسيم الرسمية لتولية الخديو الجديد ظهرت مشكلة شائكة وهى أن عباس الثانى لم يكن قد بلغ سن الرشد حين وفاة والده الخديو توفيق فالأمر يقتضى أن لا يكون سن الأمير أقل من ثمانية عشر عاما ، وبما أن عباس ولد فى ١٤ يوليه ١٨٧٤ فانه لم يبلغ سن الرشد الا فى ١٤ يوليه ١٨٩٢ بينما كانت وفاة والده المفاجئة فى ٧ يناير ١٨٩٢ مما أظهر شبح تكوين مجلس وصاية ما دام الأمير لم يبلغ سن الرشد (١٢) .

---

(١٠) مذكرات محمد فريد : القسم الأول ١٨٩١ — ١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .

(١١) الوقائع المصرية : السنه الحادية والستون رقم ٥ فى ٩ يناير سنة ١٨٩٢ تحت عنوان « القسم الرسمى » .

(١٢) ورد فى صورة الخط الهمايونى الذى صدر بخصوص توارث الحكومة الخديوية أنه اذا لم يبلغ اكبر أبناء الوالى الذكور سن الثمانية عشر سنة عند وفاة والده يشكل مجلس وصاية من الذوات الموجودين فى الداخلية والجهادية والمالية والخارجية ومجلس الأحكام المصرية وسردارية العساكر المصرية وتفتيش الأقاليم وينتخبون منهم وصيا .

انظر : كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب — الجزء الخامس .
الآستانة : الطبعة الأولى — مطبعة الجوائب ١٢٩٤ هـ ، ص ٩٣ .

ولكن أحد العلماء اقترح أن يحسب سن الأمير المسلم حسب السنين الهجرية التى تبلغ أيامها ٣٥٤ يوما وبما أن السنة الهجرية تقل عن السنة الميلادية فى عدد الأيام اتضح أن سن البرنس عباس بالتاريخ الهجرى يصل الى ثمانية عشر عاما فى يوم ٢٤ ديسمبر ١٨٩١ أى قبيل وفاة والده بأربعة عشر يوما فتمسك كرومر بذلك رغبة منه فى ابعاد تشكيل مجلس للوصاية خشية تدخل السلطان ، وبذلك حسمت المشكلة (١٣) .

استدعى عباس من فينا ، كما أبلغ السلطان بما تم التوصل اليه فوافق وأصدر منشورا عاما باستمرار النظار فى أعمالهم لحين وصول الخديو الجديد واستلامه زمام أمور البلاد .

يتخذ البعض من موقف كرومر بجانب حساب سن الخديو عباس هجريا بأن عباس يدين بالفضل فى تعيينه فى مسند الخديوية الى الانجليز (١٤) ومع أننا نتفق مع هذا القول من ناحية تمسك كرومر بأن يحسب سن الأمير حسب السنين الهجرية فى البلاد الاسلامية ، واسراعه فى استدعاء عباس من فينا فاننا نرى أيضا أن عباس يعتبر ولى العهد الشرعى ومن حقه تولى الخديوية حسب الفرمانات السلطانية وان المسألة كانت مسألة وقت لا يزيد عن أربعة عشر يوما وأن كرومر قد فضل تولية الخديو الجديد عن قيام مجلس للوصاية خشية تدخل السلطان العثمانى فى الأمر .

وصل عباس الى الاسكندرية فى الساعة الواحدة من مساء السبت ١٦ يناير ١٨٩٢ ونزل بقصر رأس التين حيث أجريت له التشريفات ثم أخذ يضطلع بمهام الأريكة الخديوية وتذكر « جوليت آدم » أن أول

---

(13) Cromer : Op. Cit., P. 2 - 3.

(١٤) يوسف خليل جاد الله : تطور الحركة القومية فى مصر ١٨٨٢ — ١٩١٩ (رسالة دكتوراه غير منشورة) ص ٢١١ .

كلمة لفظها الخديو عند وصوله الى مصر كانت « انى أفضل الموت عن النزول عن أصغر حق من حقوقى »[١٥] ، كما انتقد سياسة والده فى الاستكانة لأغراض الاحتلال آسفا كل الأسف لتعاون الوزارات مع رجال الاحتلال فى السيطرة على البلاد واستنزاف مواردها [١٦] وقد أدى ذلك الى احساس اللورد كرومر بأن الخديو الجديد يختلف عن والده فقال فى رسالة له الى اللورد سالسبورى « انى أرى أن الخديو الشاب سيكون مصريا بحتا » [١٧] .

ويذكر أحمد شفيق أن عباس لم يكن مستريحا لسياسة والده مع المحتلين فعندما حضر الى مصر فى الأجازة الدراسية التى سبقت توليته سأل بعض رجال الحاشية عن سير الأمور العامة فعلم منهم أن الأمور تجرى وفق سياسة المعتمد البريطانى التى ينفذها مصطفى فهمى رئيس النظار بكل دقة فاجتمع بوالده وأبدى ملاحظاته على هذه السياسة فأجابه والده « يا ابنى أنت لا تزال صغيرا ولا تدرك مثل هذه الأمور » [١٨] .

ولقد جعلت هذه الرواية البعض ينتظرون خيرا من الخديو الجديد كما قابلت البلاد الأمير الشاب بالترحاب مما جعله وهو فى فتوة الشباب ومتعلم فى بلاد حرة مثل النمسا يصور سياسته على أساس التمسك بما له وما لمصر من حقوق .

وعندما توجه الخديو الى الصلاة فى المسجد الحسينى يوم الجمعة ٢٢ يناير تزاحم الناس فى الطرقات المؤدية الى المسجد ، وتهافتوا عليه

---

(١٥) جوليت آدم : انجلترا فى مصر — ترجمة على فهمى كامل . ص ١٤١ .

(١٦) المصرى : فى مايو ١٩٥١ ، مذكرات الخديو عباس الثانى .

(17) Cromer : Op. Cit., P. 4.

(١٨) احمد شفيق : أعمالى بعد مذكراتى ، ص ٣٢٧ .

مصفقين وفكوا الخيول من العربة وجروها بأنفسهم الى المسجد [١٩].

وطبقا لمنهج البحث العلمى فاننا لا نقيس أعمال الخديو عباس الثانى بعام أو عامين من حكمه بل القياس سيكون على الفترة التى قضاها فى حكم مصر ، والمواقف التى وضعته تحت الاختبار وأظهرت موقفه تجاه الحركة الوطنية وتجاه المحتلين أيضا .

وقد ساعد عباس على مناوأة الانجليز الموقف الدولى العام فتركيا كانت قلقة من تواجد الانجليز على ضفاف النيل ، وفرنسا التى خسرت نفوذها المتفوق فى مصر حاولت أن تسترد هذا النفوذ بمعاونة الخديو الجديد ، وهناك الدول صاحبة الامتيازات ثم كانت هناك الوزارة المصرية المتعاونة مع الاحتلال ، والى جانب هؤلاء كان شعب مصر يرزح تحت ضربة الهزيمة والذى رأى فى الأمير الجديد متنفسا لآماله ومخلصا له من الاحتلال [٢٠] .

وكانت الحكومة الانجليزية تود أن يقتفى الخديو عباس أثر سياسة أبيه فأشارت عليه من طرف خفى بضرورة اتباع خطة والده مع الانجليز فذكرت أن انجلترا فقدت بوفاة المغفور له توفيق حليفا أمينا تمكن بحسن سياسته من اعادة السلم والنظام والرفاهية للبلاد المصرية ثم أعربت ملكة بريطانيا عن تمام ثقتها فى أن الخديو الحالى سيقتفى أثر هذه السياسة [٢١] .

لقد تملك عباس فى الفترة الأولى من حكمه شعور حماسى واستقلال

---

(١٩) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ ، من ١٨٩٢ -- ١٩٠٢ ، ص ١٧ .

(٢٠) محمد على علوبة : ذكريات اجتماعية وسياسية ، مخطوط بدار الوثائق ..

(٢١) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ ، ص ١٦ .

فى الرأى يؤهلانه لأن يكون قائدا وطنيـــا فأحس أن له ولمصر حقوقا يجب أن تصان (٢٢) ، ولولا الصعاب التى اعترضته والاحتلال الذى قلم أظـــافره ورده الى شىء من الخوف لسار على هـــذه السياسة أمـــدا أطـــول .

قام الخديو عباس الثانى باجراء بعض تنقلات وتغييرات فى المعية التى كانت على أيام والده الى أفراد آخرين فأبعد من كانت سيرته غير حميدة مما أدى الى ارتياح الرأى العام (٢٣) كما عين بعض من يثق فيهم مثل أستاذه النمساوى Louis Rouiller أستاذ الاقتصاد السياسى بمدرسة العلوم الشرقية بجامعـــة فينا والذى كان مدرســـا خصوصيا له أيام أن كان طالبا بكلية الترزيانوم فعينـــه فى ١٤ أبريل سنة ١٨٩٢ سكرتيرا عاما لديوانه عقب تنظيم المعية (٢٤) كما نقل أحمد شفيق من نظارة الخارجية الى المعية السنية (٢٥) .

ومع أن علاقة الخديو مع السلطان والانجليز فى أول الأمر كانت مبهمة وغير منظمة فقد أثار فى أول الأمر حملة شديدة ضد تركيا ثم واجه الانجليز وبدأ فى ممارسة مهامه فأبدى ملاحظاته على الضباط الانجليز الذين لا يقومون بأداء التعظيمات العسكرية اللازمة له أثناء مروره من

---

(٢٢) مذكرات قلينى فهمى جـ ١ ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(٢٣) دار الوثائق القومية : مذكرات محمد فريد ، القسم الأول الفترة من ١٨٩١ — ١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .

(٢٤) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٢٥) دار الوثائق : ديوان خديو رقم ١٦ ملف نظارة الخارجية رقم (١) عام ١٨٩٢ مذكرة بتوقيع ناظر الخارجية بتاريخ ١٥ فبراير ١٨٩٢ .

أمامهم [٢٦] . كما أخذ يتدخل فى شئون الادارة ويصدر أوامره مباشرة من السراى الى المديريات بخصوص الفيضانات أو المنازعات التى تنشب بين الموظفين الانجليز وبين المصريين فان ذلك يرجع الى خبرته القليلة عن حقيقة الموقف فى مصر وحقيقة وضعه هو أيضا والى الحماس الذى يمكن أن ينتاب الشبان فى مثل سنه .

اتجه الخديو عباس الى الأمة فأصدر أوامره فى ٦ نوفمبر ١٨٩٢ بالعفو عن عدد كبير ممن اشتركوا فى أحداث الثورة العرابية ومنحهم حق التمتع بجميع الحقوق المدنية ورد اليهم ما كانوا قد جردوا منه من العناوين وعلامات الشرف [٢٧] ثم صار يستقبل الطوائف مرتين كل شهر ليوطد علاقته بالناس ويجمعهم حوله [٢٨] .

٢ ــ علاقة الخديو عباس الثانى بالسلطان (أزمة الفرمان) :

حاولت القوى المؤثرة على الوضع السياسى فى مصر الضغط على الخديو لكى تضمه الى صفها مستغلة فى ذلك صغر سنه ثم قلة خبرته بأحوال البلاد فدخل السلطان العثمانى صاحب السيادة الشرعية على مصر تسانده كل من فرنسا والروسيا فى سباق مع انجلترا المؤيدة بدول

---

(٢٦) لقد كان الأستاذ روليه من أشد رجال الحاشية دفعا للخديو للمطالبة بحقوقه الشرعية فقد زين له فكرة اخراج العساكر الانجليز من القلعة بحجة وجود جامع محمد على وديوانه الأثرى فى هذه المنطقة كما أيده فى ملاحظته على الضباط الانجليز من عدم قيامهم بأداء التعظيمات له اثناء مروره بموكبه .

أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ القسم الأول ، ص ٣٨ ــ ص ٥٢ .

(٢٧) الأستاذ : العدد ١٢ فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٨٨ تحت عنوان « ثناء وتهنئة » .

(٢٨) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦ ــ ٣٧ .

التحالف الثلاثى للسيطرة على الخديو ، وقـد بدأ السلطان ذلك حين طلب من عباس زيارته وهو ما يزال فى أوربا قبل أن يصل الى مصر ، ولكن عباس تجنبا للضغط من السلطان عليه سافر الى مصر مباشرة مما أغضب السلطان الذى لجأ الى تأخير فرمان ولايته ، كما حاول اقتطاع شبه جزيرة سيناء من مصر على زعم أنها تتبع ولاية الحجاز ، ودارت المفاوضات فى هـذا الصدد قبل تحرير الفرمان على أسـاس أن تتخلى مصر عن العقبة ومنعـا لتوتر العـلاقات بين مصر والدولة العثمانية قبل الخديو ذلك .

ولمـا جاء المشير أحمد أيوب المندوب العثمانى الى مصر فى ٤ أبريل ١٨٩٢ ــ أى بعد تولية الخديو بأكثر من شهرين ــ حاملا فرمان تولية عباس الثانى الصادر فى ٢٦ مارس ١٨٩٢ كان الفرمان الذى يحمـله مطابقا لفرمان ٧ أغسطس ١٨٧٩ الصادر لوالده الخديو توفيق فيما عدا نقطة واحدة وهى أنه عين أملاك مصر وفقا للفرمان الصادر الى محمد على فى يونيه ١٨٤١ منتزعا منها شبه جزيرة سيناء بما فى ذلك العقبة والطور التى كانت قد ضمت الى الادارة المصرية فى عهـد الخـديو اسماعيل وبهذا تصبح حدود مصر ممتدة من العريش الى السويس[٢٩] وقد زاد من تدهور الموقف أن سفير انجلترا فى الآستانة لم يطلع على هـذا الفرمان [٣٠] مما جعل الحكومة الانجليزية تشك فى الأمر فأرسل اللورد سالسبورى رئيس الوزراء الانجليزى الى المعتمد البريطانى فى مصر اللورد كرومر بالمعارضة فى تلاوة الفرمان قبل الاطلاع عليه وكان هدف انجلترا من ذلك هو رفضها أن يكون لتركيا قوات مطلة على قناة السويس [٣١] رغبة فى تأمين مصالحها التى تقتضى بحماية الطريق الى

---

(٢٩) يوسف خليل : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٣٠) أحمـد شـفيق : مذكـراتى فى نصف قـرن ج ٢ ، ص ١٠ وما بعدها .

(٣١) د. عباس مصطفى عمار : المدخل الشرقى لمصر ــ شبه جزيرة سـيناء ، ص ٧ .

الهنـــد ، ولمـــا كان فرمان تولية عباس الثانى يقتطع شبه جزيرة سيناء كلها من مصر فقد منعت انجلترا نشر الفرمان حتى تصدر أوامر سلطانية بترك شبه جزيرة سيناء الى مصر ، ونتيجة لذلك حدثت أزمة بين انجلترا والدولة العثمانية اضطر السلطان خلالها أن يصدر ارادة سلطانية باسناد ادارة شبه جزيرة سيناء الى مصر (٣٢) وبناء على ذلك أصبحت شـــبه جزيرة سيناء كما يحدها الخط الممتد من شرقى العريش الى رأس خليج العقبة تحت ادارة مصر (٣٣) فانفرجت الأزمة وتلى الفرمان مع الارادة السلطانية المكملة له فى ١٤ أبريل ١٨٩٢ بسراى عابدين .

والواضح أن علاقة الخديو بالسلطان العثمانى كانت علاقة معقدة ذات شقين فالخـــديو يخشى الســـيطرة العثمانية على مصر وفى نفس الوقت يتخذها أداة للتخفيف من السيطرة الانجليزية استنادا الى تبعية مصر للدولة العثمانية وتوضيحا لذلك نقـــول أن الخـــديو كان يخشى السلطان عندما تؤول له أمور مصر وخصوصا وأن له قوة روحية يعتد بها فمع أن المصريين كانوا حريصين على ما نالوا من استقلال محدود ، وضد أى عودة الى الحكم التركى المبـــاشر فقـــد كانت عواطفهم مع السلطان باعتباره خليفة للمسلمين ورئيس لأكبر دولة اسلامية يتجهون اليها طلبا للعون ضـــد الاحتلال كما كان أحمد مختار باشا المنـــدوب العثمانى فى مصر والجرائد الموالية للســـلطان تعمل على تقـــوية ذلك الشعور لذلك كان الخـــديو يخشى السلطان ويجعل تعاونه معه مشوبا بالحذر والشك وفى نفس الوقت كان يحـــاول التخلص من الســـيطرة الانجليزية بالاســـتناد الى تبعية مصر للدولة العثمانيـــة ومســـاعدة السلطان له .

وبالنسبة للسلطان فان الانجليز لم يقتطعوا عليه حقا كان ينعم به

---

(32) Cromer : Modern Egypt. Vol 2 P 268 - 269.

(٣٣) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٣٠٦ .

فهم معترفون بسيادته مؤدون لخزينته الأموال ، كما ظل قاضى مصر عثمانى مقلدا من قبل السلطان ، فالانجليز لم يقطعوا ما بين مصر وتركيا لذلك رأى السلطان أن الاحتلال شر بلا شك ولكن اذا ما زال هـذا الشر فكيف يضمن السلطان ألا يفقد ما سمح له به الاحتلال ؟ فقد ينقل كله الى المصريين ، وقـد ينقل كل شيء الى دولة أخرى أوربية ، فماذا يدعو تركيا للعمل على تغيير الحالة والانجليز أنفسهم لا يبـدو منهم أنهم يعتزمون اجراء أى تغيير [٣٤] .

وكان كرومر دائما ما يهدد الخديو بامكان عقد اتفاق مع السلطان على أساس احتلال انجليزى لمصر وسيطرة تركية اذ لم يكف الخـديو عن مقاومة الاحتلال وظلت الشكوك تساور العـلاقات بين الخـديو والسلطان مما أدى الى عدم قيـام تعـاون مثمر بينهما فى مقـاومة الاحتلال ، وساعد على ذلك موضوع جزيرة طاشوز Thasos ومع أن عباس كان يكره السيطرة التركية فانه كان يعارض قطع علاقته بالسلطان نهائيا بل كان يريد أن يستبقى من مظاهر السيادة التركية الحد الأدنى الذى يحول دون أن تعلن بريطانيا حمايتها على مصر .

٣ ــ علاقة الخديو عباس الثانى بالانجليز فى العام الأول من حكمه :

لم يظهر فى بداية حكم الخديو عباس ما يدل على عدائه للانجليز كما يذكر البعض [٣٥] بل كان عداؤه للأتراك واضـحا ، وعلى تفاهم ودى مع الانجليز فى العام الأول من حكمه ، وذلك لأنه كان فى حاجـة ماسة الى تأييدهم فى مسألة تعديل الحدود فأرضاه بارنج بعدم تعيين مجلس وصاية له [٣٦] حتى بلوغه سن الرشد بالسنين الأفرنجية فكان

---

(٣٤) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ج ١ ص ٢٠ .

(٣٥) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣٢١ .

(36) Comanos Pacha : Mémoires, 1920, P. 36.

لذلك وقع حسن فى نفس الخديو الشاب كما وقف المعتمد البريطانى الى جانب الخديو حين علم بمحاولة السلطان انتزاع جزء من الأراضى المصرية وذلك لأن شبه جزيرة سيناء بما فى ذلك العقبة كانت قد ضمت لمصر فى عهد اسماعيل باشا فأرادت تركيا سلخها ، وجعل حدود مصر من العريش الى السويس ، فطلب كرومر من الحكومة المصرية الاطلاع على الفرمان قبل قراءته ، كما أبلغ حكومته بالأمر وتمت الاتصالات بين مصر والدولة العلية كما كتب قناصل فرنسا وروسيا الى سفرائهم بالآستانة للسعى لدى السلطان بابقاء شبه جزيرة سيناء تحت حكم مصر [٣٧] وازاء اصرار انجلترا تراجع السلطان وأعاد الحدود الى ما كانت عليه فى عهد الخديوية السابقة [٣٨] ومما يدل على رضاء الخديو على الانجليز فى تلك الفترة أنه أراد فى أوائل مارس ١٨٩٢ أن يمنح ضباط البحرية الانجليز المكلفين بحراسته والذين استقبلوه بالاسكندرية عند عودته من النمسا أوسمة ولكن وزير الخارجية البريطانية اعتذر عن قبول هذه الأوسمة لأن قوانين الملكة لا تسمح بقبول الأوسمة الا فى حالات خاصة لا تنطبق على هذه الحالة [٣٩] .

وقد وضح اللورد كرومر فى خطاب له الى اللورد سالسبورى بتاريخ ١٥ أبريل ١٨٩٢ علاقة الخديو عباس بالانجليز فى العام الأول من حكمه فأوضح أنه بالرغم من أن الخديو الصغير تتضاربه مصالح مختلفة تجعله كالألعوبة الا أنه تصرف تصرفا طيبا تجاه بريطانيا كما أنه يتعلق به أكثر مما يجب [٤٠] .

---

(٣٧) مذكرات محمد فريد : القسم الأول تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .

(٣٨) « وردت الأخبار الرسمية من الصدر الأعظم الى الخديو والمندوبين العثمانيين بتلبية الباب العالى لمطالب مصر ، وبذلك انتهت كافة العقبات الحائلة ضد تلاوة الفرمان » .

مذكرات محمد فريد : القسم الأول .

(٣٩) يوسف خليل جاد الله : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(40) Zetland, M. The life of Lord Cromer P. 19.

ويبدو أن أسباب تعلق الخديو بكرومر فى أول الأمر أنه لم يكن مرتاحا الى وجود الغازى مختار باشا مندوب السلطان فى مصر وقد ظهرت بوادر الاحتكاك بينهما منذ البداية خاصة بعد طلب المندوب العثمانى من الخديو تغيير الوزارة مما ضايق الخديو ، وعد ذلك تدخلا فى شئون بلاده الداخلية فأبرق الى السلطان يشكوه ويسأل عمن يكون ممثلا للسلطان فى مصر الخديو أم مختار باشا ؟ كما قام بدعوة النظار وأبدى لهم فى حضور مختار باشا ثقته التامة بهم ورضاءه عنهم (٤١) .

وهكذا سارت العلاقات بين الخديو والانجليز فى السنة الأولى من حكمه فى صالح الاحتلال مما دفع جريدة التايمز الى القول « ان وجود الانجليز أصبح ضروريا لتثبيت مركز الخديو الحالى ، وأن السير بارنج يجب أن يبقى فى مصر لخبرته بشئونها ، وأن على الخديو الجديد أن يستمع الى نصائح المستشارين الانجليز » . ثم لمحت الجريدة الى أهمية تعيين مستشار انجليزى للقصر ليسترشد الخديو بآرائه نظرا لصغر سنه (٤٢) .

وعلى كل حال فان علاقة الخديو الحسنه بالانجليز لم تدم طويلا فالخديو الشاب رأى أنه ليس له من الأمر الا اللقب ، وأن اللورد كرومر كان يعتبر نفسه الحاكم الحقيقى ، فحاول أن تكون مسئولية الحكم والسلطة فى يده لا أن يكون دمية فى يد الانجليز ومن هنا بدأت أزماته مع الاحتلال .

لقد تمسك الخديو بأن يكون حكم مصر وفقا للفرمانات السلطانية التى تحددها تسوية ١٨٤٠ بحيث يكون الوضع القانونى والدولى للبلاد سندا له يمنع انجلترا من انتحال أى حقوق تمكنها من دوام تدخلها

---

(41) Cromer : Abbas II, P. 5.

(٤٢) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ ، القسم الأول ، ص ١٥ .

فى شئون مصر ، وقد زاد من سخط الخديو على الوضع فى مصر أن رئيس النظار مصطفى فهمى كان شديد الاهتمام بمطالب كرومر بينما كان يهمل مطالبه ويمده بمعلومات غير صحيحة (٤٣) ، كما أنه أبعده عن الشئون العامة ووقف مع الانجليز فى مسألة منشور البوليس ضد رغبة الخديو حيث وافق على اصدار منشور يأمر فيه المديرين بأن تكون جميع المكاتبات الخاصة بالضبط ، وتعيين العمد والمشايخ والخفراء باسم مفتش عموم البوليس الانجليزى لا باسم ناظر الداخلية مما أغضب الخديو وزاد من الاستياء العام لأن ذلك معناه تحويل أعمال ناظر الداخلية الى مفتش البوليس وهو انجليزى (٤٤) .

ولما أحس كرومر بما يدور فى خلد الخديو أخذ يذكره بأن للانجليز الفضل فى وجوده على العرش ، وأن الشعب المصرى يريد الثورة على الأسرة المالكة .

وفى أثناء غياب كرومر فى لندن فى صيف ١٨٩٢ شكا الخديو للمستر آرثر هاردنج الذى كان ينوب عن كرومر أثناء غيابه عن مصر من أن المصريين يعتبرون مصطفى فهمى انجليزيا أكثر من اللازم وليس مصريا الى الدرجة الكافية (٤٥) .

وبعد عودة كرومر من انجلترا وجد أن الأمور أصبحت تنذر بأشياء جديدة فالخديو الذى كان صديقا له ومتوددا للانجليز قد أصبح مناوئا لهم ينظر الى كل موظف انجليزى فى الحكومة المصرية بعين الكراهية كما وجد كرومر نفسه فى مقدمة المكروهين (٤٦) .

---

(43) Cocheris, J. Situation internationale de L'Egypt et du Sudan, Paris 1903 P. 248.

(٤٤) مذكرات محمد فريد : القسم الأول من ١٨٩١ — ١٨٩٧ — يناير ١٨٩٣ .

(45) Cromer : Abbas II, P. 10.

(46) Ibid P. 31.

الأزمة الوزارية ١٨٩٣ :

أخذ الخـديو عباس الثانى يرسم سياسته على مقاومة التدخـل الانجليزى والتمسك بحقوق مصر وعدم التنازل عن حقوقه [٤٧] ولما وجد فى رئيس نظاره مصطفى فهمى خضوعا كاملا للانجليز حيث كان ينفـذ أوامر معتمدهم ولا يتصرف فى أى شأن من شئون الحكومة الا بعد أخذ استشارته كما أراد أن يوضح للخديو ضرورة خضوعه لسلطة كرومر [٤٨] فى محاولة لاقصائه عن كل سلطة [٤٩] ، مما أدى الى استياء الخـديو الذى رأى أن خضوع مصطفى فهمى للانجليز يتسم بضعف الوطنية لديه حيث أنه لم يكن من أصل مصرى بل جاء أسلافه من كريت الى مصر [٥٠] كما أنه ضعيف التعلق بالمبادىء الاسلامية ، ومعاديا لتركيـا وسياسة التعاون معها [٥١] .

ولمـا رأى الخديو أن التعاون مع مصطفى فهمى مستحيلا استقر رأيه على تغير الوزارة الفهمية وترشيح تيجران باشا رئيسا للنظـارة الجديدة وأبلغ اللورد كرومر بهذا الترشيح ، ولمـا كان كرومر يعلم أن تيجران باشا يكره السيطرة البريطانية على مصر ، ويميل الى الفرنسيين وأن الخديو يريد أن يوليه منصب رئاسة النظار لذلك لم يقر كرومر هذا التدبير بأسلوب ينم عن مهارة سياسية فذكر أن عدم رغبته فى اسـناد هـذا المنصب الى تيجران يرجع لسببين وهما :

١ ــ أنه يعتقد أن تيجران يتبع سياسة العداء للانجليز .

---

(٤٧) جوليت آدم : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(48) Cocheris, J. Op. Cit., P. 248.

(٤٩) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

(٥٠) المصرى : فى ٩ أبريل ١٩٥١ ــ مذكرات عباس حلمى الثانى .

(51) Cromer : Op. Cit., P. 19.

٢ — أن تيجران أرمنى مسيحى ، ولا يستطيع قيادة الرأى العام الاسلامى ورغم أن كرومر كان يريد التخلص من تيجران خشية اتباعه سياسة العداء للانجليز فقد ركز على السبب الثانى لأنه يعلم أن العاطفة الدينية عند الشرقيين قوية والذى يريد أن يقنعهم يأتيهم من هذا الباب ومع ذلك فقد تولى نوبار باشا وهو أرمنى مسيحى رئاسة الوزارة من قبل ولم يعترض أحد بل أن كرومر نفسه أشار بتعيين نوبار باشا بعد ذلك (٥٢) .

استخلص الخديو من أسباب رفض كرومر تعيين تيجران أنه يستطيع أن يعين رئيس نظاره من المسلمين دون استشارة كرومر فانتهز فرصة مرض مصطفى فهمى باحتقان فى الرئتين فأراد التخلص منه (٥٣)، وكان الرسول الذى يتعقب حالته الصحية هو محمود باشا شكرى رئيس الديوان التركى بالسراى ، فكان يكرر الزيارات يوميا لمصطفى فهمى متظاهرا بالمحبة والاخلاص مع أنه كان يود أن يكون المبشر الأول للخديو بوفاته ، ولما صعب ذلك وتحسنت صحة مصطفى فهمى أرسل الخديو اليه محمود شكرى ليخبره بأن صحته تستلزم الراحة ويشير عليه أن يقدم استقالته فكان جواب مصطفى فهمى بأنه سيفكر فى الأمر، وأنه سيعطى جوابه فى صباح اليوم التالى (١٥ يناير ١٨٩٣) وفى الحال أرسل مصطفى فهمى الى مستشار المالية الانجليزى بالمر يخبره بما حدث فنصحه برفض الاستعفاء (٥٤) ، ولما حان الموعد المحدد لرد مصطفى فهمى أرسل الخديو اليه يطلب الرد فكان الجواب رفض

---

(٥٢) الوطن : العدد ٦٠٤٢ فى ٢ مارس ١٩١٥ تحت عنوان « سياسة اللورد كرومر فى مصر » .

(٥٣) المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٩ ابريل ١٩٥١ .

(٥٤) مذكرات محمد فريد : القسم الأول يناير ١٨٩٣ .

الاستعفاء [٥٥] وأنه من الأوفق لسموه أن يستشير فى ذلك اللورد كرومر •

كبر على الخديو الأمر وأصدر قرارا باقالة مصطفى فهمى بحجة اعتلال صحته وتم تكليف حسين فخرى ناظر الحقانية بتأليف الوزارة الجديدة [٥٦] فكان لهذا التبديل صدى كبير فى كافة الأوساط عالمية ومحلية لأنه تم دون استشارة اللورد كرومر •

أرسل الخديو المسيو روليه بك سكرتيره العام الى كرومر يبلغه بتغيير الوزارة وتعيين حسين فخرى فأجاب اللورد بأنه سيتوجه لمقابلة الخديو •

رأى كرومر فى اقالة مصطفى فهمى قلبا لميزان السلطة ومحاولة من جانب الخديو لتوجيه ضربة قاصمة للنفوذ البريطانى لأنه لم يستشره فى تعيين فخرى باشا ولو استشاره قبل اسناد المنصب اليه لما اعترض على تعيينه [٥٧] ولكن الخطورة فى نظر كرومر تكمن فى أن تغيير الوزارة دبره الخديو ونفذه دون أن يأخذ رأيه ، وكان من المستحيل على كرومر الموافقة على أى تغيير يهدف الى ضرب النفوذ البريطانى •

ذهب كرومر لمقابلة الخديو فى ١٢ يناير ١٨٩٣ وأبلغه اعتراضه الشديد على ما حدث لأن الحكومة البريطانية لها حق اختيار الوزراء طبقا لمنشور جرانفيل فى ٣ يناير ١٨٨٣ فأجابه الخديو بأن الفرمانات السلطانية تعطيه حق اختيار وزرائه بنفسه فنصحه كرومر بألا يقاوم

---

(٥٥) المؤيد : عدد ٢ ابريل ١٨٩٣ حديث لمحمود باشا شكرى ، مذكرات علينى فهمى باشا ، ص ١٢٠ — ١٢١ •

(56) H. D. Traill : Lord Cromer. London 1897 P. 281 - 9.

(57) Cromer : Op. Cit., P. 9 - Blunt : My Diaries VI, P. 106.

انجلترا حتى لا يفقد عرشه وسلطته [٥٨] وتعكر الجو وحدثت الأزمة[٥٩] ومع أن الخـــديو تمسك بموقفه الا أنه وعد كرومر بعدم نشر تشـــكيل الوزارة فى الجريدة الرسمية الا بعد اعطائه الوقت الكافى للمفاضة مع وزارة الخارجية البريطانية [٦٠] .

رأى كرومر انتهاز الفرصة لتلقين الخـــديو درسا لا ينساه فاتصل باللورد روزبرى وزير الخارجية البريطانية وأبلغه بالخبر ، وبأن تغيير الوزارة دون أخذ رأيه سيكون له عواقب وخيمة اذا لم يحسم الموقف مع الخديو ، ويوضع حد لهـــذه المسألة لأن الخديو يعتقد أن الحكومة البريطانية لا تؤيده كما كانت تؤيد الحكومة السابقة [٦١] وطلب كرومر ارسال برقية توضح فيها الحكومة البريطانية أنه يجب أن تستشار فى المسائل الهامة مثل مسألة تغيير النظار ، وأن التغيير الذى قام به الخديو غير مرغوب فيه ، وانها لا توافق على تعيين فخـــرى باشـــا كما طلب اعطاءه السلطه لاتخاذ لاجراءات الفعالة اذا لزم الأمر للحيلولة دون احداث هـــذا التغيير ثم أوضح كرومر للحكومة البريطـــانية بأنه اذا تمكن الخـــديو من الحصول على أى مكاسب من جراء هـــذا الحـــادث فانه لم يستطع السير على الخطة التى يسير عليها منذ عشر سنوات . أما اذا أعطى للخـــديو درسا فسيصعب عليه احداث أى متاعب أخرى مستقبلا [٦٢] ومع أن الخديو قـــد بر بوعده بعدم نشر تعيين الوزارة الجديدة حتى يتفاوض اللورد كرومر مع حكومته فانه طلب من الوزراء

---

(58) Cocheris, J. Op. Cit., P. 248.

(59) Le Besphore Egyptien 21 Janvier 1893.

(60) Cromer : Op. Cit., P. 22.

(٦١) لمـــا استقالت وزارة سالسبورى وتولى المستر جلادســـتون السلطة احس الخـــديو بأن جلادستون يميل الى الاسراع بالجلاء عن مصر مما ساعده على مناوأة كرومر .

(62) Cromer : Op. Cit., P. 23 - 24.

الجدد الذهاب الى دواوينهم مما ضايق كرومر فأصدر أمرا الى الموظفين الانجليز بعدم الاعتراف بالوزارة الجديدة أو التعاون معها حتى يسمح لهم بذلك (٦٣) .

رأت الحكومة البريطانية فى عزل الخديو لرئيس الوزراء المتعاطف مع السلطة البريطانية فى مصر وتعيين آخر دون استشارتها أمر من الصعب الموافقة عليه لأنه سيؤدى الى اهتزاز مركزها فى مصر كما رأى مجلس العموم البريطانى أن من سوء حظ الخديو عدم اتصاله بالحكومة البريطانية قبل عزل وزارة مصطفى فهمى ورغم أن بعض الأعضاء أيدوا فكرة عزل رئيس الوزراء لمرضه فان أغلبية أعضاء المجلس لم يوافقوا على ما قام به الخديو حتى لا ينتهى الأمر بضياع نفوذ انجلترا فى مصر (٦٤) أرسلت الحكومة البريطانية برقية الى اللورد كرومر ذكرت فيها « أن حكومة جلالة الملك يجب أن يؤخذ رأيها فى المسائل الهامة مثل مسألة تغيير النظار ، وأنه فى الوقت الحالى لا توجد ضرورة للتغيير لذلك فهى لا توافق على تعيين فخرى باشا » .

وقد كلفت الحكومة البريطانية كرومر بأن يقابل الخديو ويبلغه بالبرقية ، كما طلبت منه ألا يتخذ أى اجراءات أخرى قبل الاتصال بلندن (٦٥) .

قابل كرومر الخديو فى ١٧ يناير ، وأبلغه بالبرقية التى وصلته من حكومته وطلب منه اعادة مصطفى فهمى الى رئاسة الوزارة فرفض الخديو طلبه وأوضح له أنه استعمل حقه فى اختيار الوزراء حسب

---

(٦٣) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣٠٨ .

(64) The Parliamentary Debates, For Session 1893 Vol XIII, P. 115.

(65) Cromer : Op. Cit., P. 24.

الفرمانات السلطانية ، فهدده كرومر بأن نتائج رفضه ستكون وخيمة وحذره من عواقب مقاومة انجلترا لأنه بذلك يجازف بسلطته فرد عليه الخديو بأن تنازله عن العرش أفضل له من ارجاع مصطفى فهمى (٦٦)، ولما علمت الحكومة الانجليزية بهذا الرد طلبت من كرومر أن يوضح للخديو بأنه اذا رفض الخضوع للنصائح البريطانية فان عليه أن يتحمل أخطر النتائج (٦٧) .

دارت عدة مقابلات بين الخديو ونظاره للبحث عن طريق لحل الأزمة فحاول حسين فخرى أن ينقذ الخديو من ورطته بتقديم استقالته ، كما ذهب بطرس باشا وتيجران باشا الى كرومر ملتمسين منه التساهل فى حل الأزمة فرأى كرومر أن من الملائم حل الأزمة دون العودة لاستشارة حكومته فى لندن ، وبعد أخذ ورد طويلين استقر الرأى على تسوية الأزمة على أساس ألا يتمسك كرومر باعادة مصطفى فهمى على أساس أنه ليس من الصواب اذلال الخديو الشاب على أن يعزل حسين فخرى ويتم تعيين رياض باشا مكانه ويقدم الخديو بلاغا رسميا — وضع كرومر صيغته — يبدى فيه رغبته فى توجيه العناية للبحث عن أفضل العلاقات الودية مع الحكومة البريطانية وأن يتبع فى المستقبل نصائحها فى المسائل الهامة (٦٨) .

وفى صباح ١٨ يناير زار الخديو وتم ما اتفق عليه وبذلك انتهت الأزمة الوزارية دون أن ينال أحد من الفريقين نصرا مؤزرا .

وهكذا انتهت الأزمة الخطيرة التى أثارها عناد اللورد كرومر

---

(66) Cromer : Op. Cit., P. 24.

(67) Trail : Op. Cit., P. 286.

(68) Cromer : Op. Cit., P. 27.

ليفرض بالقوة تواجد رئيس وزراء لم يتردد يوما فى الدفاع عن المصالح البريطانية ، وأن يضحى فى سبيلها بمصالح بلاده (٦٩) .

وعلى كل حال فقد كان حل الأزمة مرضيا لفرنسا نظرا لابعاد مصطفى فهمى الذى كان يعمل ضد نفوذها ، ومرضيا لكرومر نظرا لابعاد حسين فخرى الذى كان يظهر تأييده لفرنسا ، ومرضيا للخديو حيث نفذ رغبته فى ابعاد مصطفى فهمى (٧٠) .

ومما سبق يتضح مدى التناقض بين أقوال الاحتلال وأفعاله فانجلترا التى كانت تسوغ احتلالها لمصر بدعوى المحافظة على حقوق الخديو تمنعه من حقه فى اختيار وزرائه وتفرض عليه الوزراء التى تريدهم أما عن الموقف الدولى للأزمة فقد قاومت أوربا هذا التعسف الانجليزى بشىء من الضعف ومع أن الخديو كان ينتظر مساعدة كل من فرنسا والروسيا له فقد وقفت الحكومة الفرنسية موقفا ضعيفا واكتفت بأن كلفت سفيرها فى لندن بالاحتجاج على الاجراءات التعسفية التى اتخذها كرومر ضد الخديو ومعرفة الدور الذى لعبه كرومر فى استقالة نظارة فخرى باشا فكان رد اللورد روزبرى أن الاجراءات التعسفية كانت من جانب الخديو ولم تكن من جانب كرومر لأنه هو الذى عزل رئيس النظار وعين رئيسا جديدا للوزارة لا يليق بهذا المنصب دون استشارة أحد (٧١) .

أما روسيا فلم تتدخل فى الأزمة بينما تخاذلت تركيا فى اتخاذ موقف واضح فاكتفى الباب العالى بتكليف سفيره فى لندن أن يصرح لوزير الخارجية البريطانية أن الخديو يعتبر ممثل السلطان فى مصر والتعرض

---

(69) Le Bosphore Egyptien : 20 Janvier 1893.

(٧٠) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ القسم الأول ص٦١ .

(71) Trail : Op. Cit., P. 288 - 289.

له انما هو تعرض لشخص السلطان ، وكان رد روزبرى أن كرومر لم يقصد التعدى على حقوق الخديو وأن الحكومة البريطانية ترى فى تعيين رياض باشا رئيسا للنظار حلا مرضيا (٧٢) .

أما عن الموقف الداخلى تجاه الأزمة فقد قوبل موقف الخديو من الأزمة بابتهاج كبير لأن مصطفى فهمى كان بغيضا الى نفوس أبناء الأمة لمالأته للاحتلال فالتفت الأمة حول الخديو ، وأصبح موضع حب الشعب وازداد النداء بحياته أثناء تنقلاته كما هجمت بعض الصحف الوطنية مصطفى فهمى واعتبرته خائنا للوطن لأنه توقف عن تنفيذ أوامر الخديو استنادا على الانجليز فقالت « الأستاذ . أنه ما كان ينبغى أن يوقف أمر سيده وأمير البلاد الشرعى على مشورة أجنبى ، كما أيدت موقف الخديو من الأزمة وذكرت أنه طبق ما فوضه اليه السلطان من السلطة وما أوجبته عهود الوراثة من الحقوق ، وطالبت المصريين جميعا بالخضوع للسلطان والاعتراف بسيادته وسلطته عليهم (٧٣) كما هرعت وفود الأمة الى سراى عابدين فى صبيحة الأربعاء ١٨ يناير ١٨٩٣ وكان منهم الأمراء والعلماء والأشراف والأعيان والتجار وأعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وقضاة المحاكم وكبار الموظفين يهنئون الخديو ويظهرون اخلاصهم له فكان الخديو يخطب فيهم وفدا وفدا موضحا لهم أنه عازم على عدم التنازل عن أى حق من حقوقه (٧٤) فكان جواب بعض الحاضرين « يا أفندينا ربنا كتب خلاص البلاد على أيديك ، وما رأينا هذا الحماس وحب البلاد وأهلها صدرا غيرك ربنا يخليك ويطول عمرك » (٧٥) .

---

(٧٢) أحمد شفيق : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٣ .
(٧٣) الأستاذ : الجزء الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ، ص ٥٤٠ — ٥٤١ تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .
(٧٤) نفسه : ص ٥٤٢ .
(٧٥) مذكرات قلينى فهمى : ص ١٢٢ .

وفى يوم الجمعة ٢٠ يناير أدى الخديو فريضة الجمعة فى مسجد الحسين فاستقبله الشعب بالحماس والهتاف ، كما اجتمعت الألوف فى المسجد وعلى جانبى الطريق يهتفون له الهتافات العالية (٧٦) .

وفى مساء السبت ٢١ يناير حضر الخديو تمثيل رواية (عايدة) فى الأوبرا فقامت مظاهرة رائعة له اشترك فيها الوطنيـــون والأجانب اذ وقف الجميع حين دخول الخديو اللوج وصدحت الموسيقى بالسلام وهتفوا له هتافا عالية ، ودوى المكان بالتصفيق المتواصـــل فأجابتهم الموسيقى بالسلام الخـــديو مثنى وثلاث ورباع ، وكلمـــا عزفت زاد الهتاف والتصفيق طالبين اعادة الســـلام الخـــديو حتى أشار عليهم الخديو بالجلوس (٧٧) .

أما عن مصطفى كامل فقد اعتلى منصة الخطابة فى ٢٠ يناير ١٨٩٣ بين جموع الطلبة الذين احتشدوا للتعبير عن سخطهم على المحتل ، وكانت هـــذه هى المـــرة الأولى التى يتكلم فيهـــا بين عدد ضخم من المستمعين ، وقد عاب مصطفى كامل فى خطبته على ضعف الحـــكومة موجها نداءه الى المصريين للتكتل استعدادا للكفاح ضد المحتل (٧٨) كما هاجم هو وزملاؤه جريدة المقطم (٧٩) لموقفها العدائى من الخديو

---

(٧٦) وضح محمد فريد ذلك ، مذكراته فقال « صلى الخديو الجمعة بجامع الحسين وكان بانتظاره بداخل المسجد وخارجه على حافتى الطريق ألوف الألوف من الناس ، وتظاهروا عند مروره تظاهرا لم يسبق اليه مثيل فى مصر ، واشترك الأجانب غير الانجليز مع المواطنين فى هـــذا الاحتفال التظاهرى ، ورغب بعض الشبان حل خيل عربة الخديو وجرها بأنفسهم تعظيما لمقامه السامى فأبى ذلك » .

مذكرات محمد فريد : القسم الأول تحت عنوان يناير ١٨٩٣ .

(٧٧) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

(78) Bosphore Egyptien 22 Janvier 1893,

(٧٩) هذه الصحيفة اعتمد عليها الاحتـــلال وامدها كرومر بالمـــال وبكافة المواد الصحفية التى تكفل لها الرواج ، وقد صدر العدد الأول منهـــا فى يوم الثامن عشر من شهر ابريل ١٨٨٨ .

لمـا قام به احداث الأزمة الوزارية [٨٠] ثم ذهب وفـد من الطلبـة برئاسـة مصطفى كامل الى مكاتب صحيفة لوبوسـفور اجبسـيان Bosphore Egyptien لشكرها على ما أبدت من شعور نحـو مصر والمصريين أثناء الأزمة الوزارية .

ولقد كان لهذه الحركة الشعبية الرائعة أثرها الواضح فى تقوية مركز الخـديو أمام كرومر حتى أن كرومر نفسه لم ينكر ذلك وان كان قـد صوره تصويرا مشوها اذ قال : « حدثت كثير من التغييرات الوزارية خلال حكم توفيق أثارت الأحاديث فى القـاهرة ، ولكن أثر هـذه الأحاديث لا يلبث أن يزول سريعا الا أنه من الواضح أن هياج الشعب هـذه المرة قـد تجاوز حده حتى أصبح الموقف قريبا لما كان عليه فى بداية الثورة العرابية مع اختلاف واحد هو أن الخـديو هذه المرة كان قائدا للحركة ، والتف حوله بعض الشباب الذين رفعوا شعار الثورة فى وجه الحضـارة الغربيـة ؛ والباشـوات الذين جردوا من امتيازاتهم أو أنقصت سلطتهم ، وكل مسـلم متعصب يكره الأجانب فى سريرة نفسه ، وكل راغب فى منصب ويرنو الوصول اليه بأساليب غير سليمة وكل موظف فاسد وقفت الرقابة الأجنبية حائلا بينه وبين الحصول على كسب الحرام ، وكل شـاب اعتبر نفسـه أفضـل من رئيسه الانجليزى . كل هؤلاء التفوا حول الخديو فى حركته ، وهكذا اتحد المصرى المتفرنج مع الباشا المتخلف الذى يود عودة حكم البلاد بالكرباج والفساد » [٨١] .

والواقع أن الأزمة الوزارية أثبتت حاجة الشعب المصرى الى من يقوده للمواجهة مع الاحتلال لذلك وقف بجانب الخـديو يشد أزره

---

(80) Landau : Parliaments and Parties in Egypt, London P. 109.

(81) Cromer : Op. Cit., P. 34 - 35.

ويؤيده ، ويشـــاركه شـــعوره فى أن يثبت أن لمصر خـــديويا جديرا بلقبـــه [٨٢] .

كما أن هـــذه الأزمة أثبتت التناقض الواضح بين أقوال الاحتلال وأفعاله فرغم أن الانجليز تذرعوا بأن سبب احتلالهم لمصر هو حماية عرش الخديو ، وتأييد سلطته فان الأزمة الوزارية أوضحت أن الانجليز لا يعترفون بسلطة الخديو فى اختيار وزرائه [٨٣] ويفرضون عليـــه الوزراء الموالين لهم مما يعتبر تحديا صريحا له واعتداء صارخا على حقوقه وعلى المعاهدات الدولية التى تحدد مركز مصر [٨٤] .

أما عن موقف الخـــديو من الأزمة فكان مشرفا فلم يقبل بقـــاء وزارة عرفت بالخضوع للاحتلال ورغم التهـــديد بعزله اذا أصر على موقفه ، ونجح فى عزل مصطفى فهمى وان لم يتمكن من ابقاء وزارة حسين فخرى التى أمر بتشكيلها .

وعلى كل حال فقـــد خـــرج الخـــديو بمكسب هام من الأزمة الوزارية هو التفاف الشعب حوله وظهوره بمظهر الزعيم الوطنى الذى لم يقبل وزارة عرفت بالخضوع للاحتـــلال واستعمل حقـــه فى تعيين وزارة يرى فيها الاستقلال عن النفوذ الانجليزى .

٥ ــ وزارة رياض وحادث الحدود :

شكلت هـــذه الوزارة فى ١٩ يناير ١٨٩٣ ، وكان كرومر يظن أن رياض باشـــا سيتمكن من التأثير على الخـــديو ليخفف من كراهيته للاحتلال ، ولكن ما اتبعه رياض كان على العكس من ذلك فقد شجع

---

(82) Bosphore Egyptien : 21 Janvier 1893.

(٨٣) اللواء : العدد ٣١ فى ٦ فبراير ١٩٠٠ تحت عنوان « السلطة الشرعية فى مصر » .

(٨٤) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

الخديو على معاكسة انجلترا ، وذكر عقب الأزمة الوزارية أن سلوك الخديو قد رفعه فى أعين الشعب وأكسبه احتراما عاما ؛ وأن جميع المصريين الآن فى جانبه وقد علق كرومر على ذلك بقوله : « ان هذا لا ينطبق الا على طبقة الباشوات » (٨٥) .

وقد حاول رياض باشا الحد من تغلغل النفوذ الانجليزى فى البلاد كما كان يتمنى أن يفارق كل أوربى البلاد غير أنه فى أعماله كان يضطر الى أن يعترف بأنه لا غنى عن الأوربيين ، ومع أن رياض كان يكره الصحافه الحرة كل الكره فقد شجع الصحافة المناوئة للاحتلال ، وكان يسير ضد كل ما هو أوربى ثم تضطره الظروف الى التراجع فمثلا رفض السماح للسير جون سكوت وغيره من الموظفين البريطانيين حضور جلسات مجلس النظار (٨٦) الا أن كرومر اضطر الى اصدار أمر يلغى هذا القرار (٨٧) كما أنه أصدر منشورا يأمر فيه جميع الموظفين المصريين بالامتناع عن الاتصال بضباط الجيش من الانجليز ثم ما لبث أن ألغى هذا المنشور (٨٨) ، وكان يشجع الصحافة المتعصبة ضد انجلترا ثم ينقلب فجأة فيطلب من أحد الصحفيين المشهورين بتعصبهم الوطنى وهو عبد الله النديم أن يغادر البلاد .

ونتيجة لموقف رياض باشا المناوىء للاحتلال وتغير الموقف فى مصر لمصلحة الحركه الوطنية رأى كرومر ضرورة كبح جماح الوطنيين قبل تفاقم الموقف فطلب من حكومته زيادة عدد القوات الانجليزية فى مصر نظرا لتطور الأمور فيها وقد وافقت الحكومة البريطانية على

---

(85) Cromer . Op. Cit., P. 42.

(٨٦) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ص ٥٩ .

(87) Cromer : Op. Cit., P. 42.

(88) Ibid : P. 44.

طلبه [٨٩] وكلفته بابلاغ الخـديو ورئيس النظار بقرارها بشأن هذه الزيادة دون توضيح السبب الذى دعا الى هذا القرار [٩٠] .

ونتيجة لقرار الحكومة البريطانية بزيادة عدد قواتهـا فى مصر تغيرت خطة رياض باشا ضد الانجليز ، وتوقفت حركة الهياج وهدأت خواطر الأوربيين ، ولكى تبرر انجلترا الأسباب التى دعتها الى زيادة قواتها أمام الدول الأوربية أرسل المستر جلادستون منشورا الى الدول يبلغها بأن زيادة قوة جيش الاحتلال لا يقصد منه أى تغيير فى خطة انجلترا نحو مصر ولا فى وعودها بالجلاء فردت فرنسـا بأن ما جاء بالمنشور ليس كافيا لايضاح أسباب زيادة هـذه القوة فأجاب وزير خارجية انجلترا بأن ذلك يرجع الى أن انجلترا سحبت فى السنوات الأخيرة قسما من جيش الاحتلال غير أنها وجدت أن الباقى ليس كافيا لحماية الأجانب أو لصد ثورة محتمل وقوعها [٩١] .

وفى ١٦ فبراير وجه روزبرى الى كرومر رسالة نشرت علنا [٩٢] وضح فيها سياسة الحكومة الانجليزية بصدد مصر وهى تنطوى على وجود استمرار الاحتلال لعدة اعتبارات هى :

١ ــ حماية مصالح وسلامة الأوربيين المقيمين بمصر .

٢ ــ ان قيام أى هياج قصـير لا يجبر انجـلترا على تعديل سياستها فى مصر .

---

(89) The Parliamentary Debates. For Session 1893 Vol. XIII, P. 2 - 3.

(90) Cromer : Op. Cit., P. 37 - 38.

(٩١) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ص ٧٠ .

(92) Charles - Roux : Histoire de la Nation Egyptienne, Vols. II, P. 157.

٣ ــ ان انجلترا أقدمت على عمل فيه مصالح للحضارة ولأوربا ولا يمكنها أن تتراجع عنه .

٤ ــ ان معنى سحب القوات الانجليزية من مصر هو عودة الفوضى والفساد اليها .

كما أشار روزبرى بضرورة المحافظة على النظام الادارى الذى أقيم بالارشاد الانجليزى ثم أشار الى احتمال قيام اجراء مفاوضات مع تركيا والدول الأوربية وذكر أن الفرصة سانحة لكى تتحرر مصر من الرقابة الأوربية لأنها لم تتهيأ لذلك ، كما أن الحوادث الأخيرة تجعل انجلترا تفكر تفكيرا أكثر وضوحا (٩٣) .

أما عن الخديو عباس الثانى فقد لجأ الى السلطان طالبا المدد فزاره فى يوليو ١٨٩٣ (٩٤) ؛ وكان تجران باشا والشيخ على يوسف وعدد كبير من الأعيان والتجار والموظفين واثنين من أعضاء مجلس شورى القوانين (٩٥) ، وقد حاول الخديو اكتساب تأييد السلطان كما طاف تجران باشا على السفارات الأجنبية فى الآستانة موضحا موقف الخديو ؛ ومع أن السلطان رحب بالخديو وأعلن رضاه عنه وأهداه نيشان الامتياز المرصع فأنه طلب منه الابتعاد عن مناوأة انجلترا وأن يحسن علاقته مع الانجليز ، كما استدعى تجران باشا وطلب منه أن يوقف خطته المناوئة للانجليز ؛ وبذلك عاد الخديو من الآستانة مهيض الجناح ؛ فقد قضى السلطان على الآمال التى كانت تراوده .

والجدير بالذكر أن الخديو عباس الثانى اهتم بأمر الجيش

---

(93) Cromer : Abbas II. P. 40 - 41.

(٩٤) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٩٥) نفسه .

منذ اعتلائه أريكة الخديوية فوطد صلته به ، وأمر بترقية الكثير من الضباط المصريين (٩٦) كما فتح باب الترقى لهم الى الرتب التى تعلو رتبة الأميرالاى بعد أن كانوا يتوقفون عند هـذه الرتبة (٩٧) كما كان يرتدى الملابس العسكرية كأحد ضباط الفرق ويشاهد المناورات الحربية بنفسـه ، ويقوم بالتفتيش على الثكنات للوقوف على حالة الجنـود مما أغضب اللورد كتشنر Kitchener سردار الجيش المصرى فاحتج لدى اللورد كرومر ، واستقر الأمر على انتهـاز أول فرصـة لخنق اهتمام الخـديو بالجيش (٩٨) .

وقد أسند الخـديو وكالة نظارة الحربية الى الفريق ماهر باشا محافظ الاسكندرية (٩٩) فى أثناء غياب كرومر فى لنـدن ، فكان ذلك بداية المتاعب الحقيقية بين الخديو والاحتلال حيث عمـل ماهر باشا على التقليل من شأن كتشنر واتاحة الفرصة للخديو للاشراف الحقيقى على وزارة الحربية (١٠٠) فحاول أن يحصل على بيان بمرتبات الضباط والموظفين بالجيش المصرى للمقارنة بينها وبين مرتبـات أقرانهم من المصريين ، وكان كتشنر يخفى ذلك البيان عن الخـديو وكانت هـذه المرتبات تقدم بصورة عامة فى الميزانية السنوية بدون تفصيل (١٠١) .

وقد تمكن ماهر باشا من الحصول على هـذا البيان كما تمكن من التعرف على الطريقة التى تصرف بها الأموال التى كانت تحصـل من

---

(٩٦) دار الوثائق : ديوان ممية سـنية عربى — صـادر افادات وتحريرات مجموعة رقم ٤٢ ، ص ٤ مسلسل ٩٨ بتاريخ ١٠ اغسطس ١٨٩٢ وأيضا ص ٤٩ مسلسل ١٣٢ بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٨٩٢ .

(٩٧) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى ، فى ٣ مايو ١٩٥١ .

(٩٨) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٩٩) أحمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ ، القسم الأول ، ص ٨٠ .

(100) Zetland : Op. Cit., P. 208.

(١٠١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

المصريين مقابل الاعفاء من الخدمة العسكرية والمعروفة بالبدل العسكرى والتى كانت تصل الى حوالى ٢٥٠ر٠٠٠ جنيه فاتضح أنها تستخدم للصرف على قلم المخابرات الانجليزى فى مناطق متعددة من الوطن العربى منها السودان والحجاز واليمن وطرابلس (١٠٢) .

كما تمكن الخديو من بث بعض العيون فى فرق الجيش ووحداته التعليمية لمعرفة أحوال الجيش ، كما استطاع أن يبث عيونه فى بيت السردار نفسه وكان يتصل برجال الجيش عن طريق العمد والمشايخ فى القرى ، وعن طريق هؤلاء اتضح للخديو أن الضباط الانجليز الذين يقومون بتدريب الجيش المصرى ماسونيون (١٠٣) كانوا يشجعون الضباط المصريين بعد تخرجهم الى الالتحاق بالماسونية الانجليزية ، كما كان رئيس المخابرات الانجليزية فى مصر رئيسا للمحفل العسكرى الانجليزى (١٠٤) .

وبمناسبة الاحتفال بعيد جلوس الخديو فى ٨ يناير ١٨٩٤ استعرض عباس الثانى بعض وحدات الجيش المصرى فى القاهرة

---

(١٠٢) جريدة المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٣ مايو ١٩٥١

(١٠٣) الماسون Macon كلمة فرنساوية معناها بناء ، فالماسونية بمعنى البناية وجماعة البنائين هم الأعضاء ، وكانت لهم كلمات واشارات يتعارفون بها .

جرجى زيدان : تاريخ الماسونية العام . القاهرة — مطبعة المحروسة ١٨٨٩ ، ص ٣١ .

والماسونية من مهمتها : « أن تدخل فى روع الناس انهم متساوون، وان الميزات القومية والمعتقدات كلها اصطناعية لا قيمة لها » .

ر. فورستيه : هذه هى الماسونية — ترجمة بهيج شعبان . بيروت ١٩٥٥ ، ص ٩ ، ١٢ .

وللتفاصيل انظر : عبد الرحمن سامى عصمت . الصهيونية والماسونية ، ص ٨٤ .

(١٠٤) المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٤ مايو ١٩٥١ .

ذلك أحمد شفيق فيذكر أن الشكوك اتجهت الى حسين محرم الذى كان على صلة بكتشنر (١٠٩) وعلى كل حال فقد شك الانجليز فى الأمر واعتبروه غير حقيقى (١١٠) .

ومع أن شكوك أفراد المعية حول من أبلغ نية الخديو كانت تحوم حول حسين محرم (١١١) فانه يتضح من دواوين المعية السنية أن الخديو لم يفاتحه فى هذا الأمر ؛ ولم يتخلى عنه بل قربه اليه (١١٢) مما يجعلنا نستبعد أن حسين محرم هو الذى أفشى بنيات الخديو الى الانجليز .

استعرض الخديو قوات الجيش فى وادى حلفا وبجانبه ماهر باشا وكيل وزارة الحربية (١١٣) فى ١٨ يناير ١٨٩٤ وأبدى بعض انتقاداته وملاحظاته على سلوك الجند فى الاستعراض العسكرى فعند

---

(١٠٩) أحمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

(110) George Arther : Op. Cit., Vol 1, P. 182 .

(١١١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(١١٢) بالرغم مما قيل عن صلة حسين محرم بكتشنر فان دواوين المعية السنية توضح لنا أن الخديو لم يتخلى عنه بل قربه اليه ورقاه فعينه ياورا أول ويتضح ذلك من الديوان رقم ٤٥٤٠١ ؛ ص ٢ : نمرة ٣ بتاريخ ٢ أبريل ١٩٠٥ حيث يذكر « انه قد سمحت المكارم الخديوية الفعيمة بترقية حضرة الميرلاى حسين محرم من ياوران الجناب الخديو الى رتبة اللواء وتعينه ياورا أول » وفى الديوان رقم ٤٥٤٠٩ نجد أن حسين محرم رقى الى رتبة فريق وتعين ناظرا للخاصة الخديوية ، فصدر أمر عال الى سعادة الفريق حسين محرم باشا بتاريخ ١٨ مايو ١٩١٢ بتعيينه ناظرا للخاصة الخديوية من التاريخ المذكور » .
انظر : دار الوثائق : دواوين المعية السنية عربى سجل س/١٥/١٥ تحت رقم عام ٤٥٤٠٩ .

(١١٣) رقى الخديو ماهر باشا الى رتبة الجنرال وعينه محافظا للاسكندرية بعد أن كان وكيلا لمديرية الحدود بأسوان ، ثم عينه وكيلا لوزارة الحربية .
جريدة : مذكرات عباس الثانى فى ٣ مايو ١٩٥١ .

مرور الأورطتين الثانية والحادية عشر التفت الى ماهر باشـــا وكان بجواره وقال له : « ان هـــذه الجنود فى حالة تدعو الى الخجل»[١١٤] كما قال لقومندان الأورطة الثانية الانجليزى « ان سير هـــذه الأورطة ليس حسنا كسير الأورطة الأخرى »[١١٥] كما أبدى مثل هذه الملاحظة على الأورطة الحادية عشر وطلب القومندانات بآخر الطابور وأبدى لهم ملحوظاته على الجيش [١١٦] كما ألقى خطبة على مسامع الضـــباط انتقد فيها طريقة التعليم التىينتهجها الضباط البريطانيون ازاء الجيش المصرى [١١٧] وصرح الخـــديو لكتشنر أنه يمـدح كل ضـــابط يقوم بواجباته ويلوم كل من يقصر فيما عليه نحو جنوده [١١٨] ، وقد تأثر كتشنر من سلوك الخديو نحو الضباط الانجليز وانتهز الفرصة للنيل من مهابة الخـــديو أمام الجيش [١١٩] فأعلن أن كرامة الضباط الانجليز قـــد امتهنت واحتج على ذلك بأن قدم استقالته ، ولمـــا أحس الخديو بتوتر الموقف حاول حمل كتشنر على العـــدول عن استقالته فقال له أنا قلت ما رأيته كمصرى وكقائد للجيش ؛ ولكى ألفت نظر القائدين الانجليزيين الى ضرورة بذل الجهد لاستكمال النظام ولا أقصد توجيه اهانات شخصية لك فلماذا تريد استخدام القضية لغايات سياسية[١٢٠] فرد كتشنر بأنه اذا كان الضباط الانجليز ينتقدون علنا بهذا الشكل فان مركزهم فى البلاد يصبح من الصعب تأييده ؛ وانه فى هذه الحالة يصعب عليه تماما الحصول على ضباط أكفاء للعمل بالجيش المصرى ؛

---

(١١٤) دار الوثائق : مذكرات مصطفى كامل ، ملف ٢٥ تلغـــراف رقم ٨٢ بتاريخ ٢٣ يناير ١٨٩٤ .

(١١٥) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(١١٦) مذكرات مصطفى كامل : التلغراف السابق الذكر .

(١١٧) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(١١٨) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(١١٩) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣١١ .

(١٢٠) بشارة تقلا باشا : مختارات من اقواله المنشورة بالأهرام القاهرة ـــ مطبعة الأهرام ١٩٠٢ ، ص ٣٥٩ .

فأوضح له الخـــديو بأن لديه الثقة التامة به ، وأنه لم يقصد ســـوى أن يلفت نظر القائدين الى ضرورة السهر على الكمال والنظام ، كما أنه فعل ذلك مدفوعا بحبه لجيشه ، ولهذا لا يفهم لمـــاذا يريد أن يعطى لهذا الأمر الخصوصى معنى سياسيا ، فأوضح له كتشنر بأنه ربمـــا لا يصر على استقالته وان كان لم يسحبها نهائيا (١٢١) ثم أرسل ضابطا الى كرومر ليشرح له تفاصيل الحادث (١٢٢) كما أرسل تلغرافين الى كرومر أيضا يشكو فيهما من انتقادات الخديو للجيش وبأنه صرح بأن حالة الجيش عار على مصر (١٢٣) وأنه أبدى ملاحظـــات فيهـــا تحقير للضباط الانجليز .

ويدفعنا موقف كتشنر الواضح فى تصعيد الأزمة الى أن نتساءل ما هو الهدف الذى يرمى اليه من ذلك ؟

الواقع أن كتشنر كان ينقم على الخديو اهتمامه بالجيش : وكان قـــد أرسل من قبل الى كرومر يشكو له من محاولات الخديو التدخل فى شئون الجيش ، وقـــد تم الاتفاق بينهما على انتهاز فرصة مناسبة للنيل من هيبة الخديو أمام الجيش ، وكان حادث الحدود هو الفرصة المرتقبة (١٢٤) ، كما أن كتشنر كان من مجموعة كرومر التى ترى ضرورة شل سلطة الخديو والضغط عليه حتى يمكن تنفيذ أغراض انجلترا فى مصر .

وعلى كل حال فقد هالت كرومر خطورة الموقف فذكر أن انتقادات الخديو للضباط الانجليز تعتبر أسوأ سلوك رآه فى حياته كما رأى أن

---

(121) Cromer : Abbas II, P. 51 - 52.

(١٢٢) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(١٢٣) مذكـــرات مصطفى كامـــل : ملف رقم ٢٥ تلغـــراف رقم ٧٧ بتاريخ ٢٢ يناير ١٨٩٤ ونص التلغراف ضمن ملاحق الرسالة .

(١٢٤) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣١١ .

الفرصة التى كان ينتظرها لتوجيه ضربة قوية ومناسبة الى الخديو قد حانت ، كما أن الفرصة مناسبة أيضا لعزل ماهر باشا وكيل وزارة الحربية المناوىء للانجليز فأبلغ حكومته بالأمر كما اقترح على الخديو بأن تسوية الموقف لا تتم الا بنقل ماهر باشا واصدار أمر عسكرى يثنى فيه الخديو على الضباط الانجليز والجيش والا فانه سيضطر الى وضع الجيش المصرى بكامله تحت سلطة الاحتلال (١٢٥) .

استاءت الحكومة البريطانية من الحادث وأبلغت كرومر بأن يخبر الخديو بخطورة الموقف بعد أن أصبح من عادة سموه اهانة الضباط الانجليز . وأن الترضية الوحيدة التى يمكن للخديو أن يقدمها هى نقل ماهر باشا واصدار أمر عسكرى يثنى فيه الخديو على الضباط الانجليز والجيش (١٢٦) وفى حالة رفضه اعطاء هذه الترضية ننظر فى استعمال الشدة التى يكون من ورائها وضع الجيش المصرى رأسا تحت السيطرة الفعلية لانجلترا حتى يمكن ضمان حماية الضباط الانجليز من المعاملة المهينة (١٢٧) .

وبعد أن أبلغ كرومر برد حكومته قابل رياض باشا وجران بسا وأوضح لهما خطورة الحادث وطلب منهما تنفيذ ما طلبته الحكومة البريطانية وهدد بخلع الخديو من عرشه اذا لم يعتذر ويسحب انتقاداته (١٢٨) .

ولما كان الخديو لم يعد الى القاهرة بعد ، فقد هرع رياض باشا وبصحبته بطرس غالى ناظر المالية الى الصعيد وقابلا الخديو بعد رسو يخته فى جرجا وأخبراه باستياء كرومر منه وتهديده بالخلع

---

(125) Cromer : Op. Cit., P. 56.

(١٢٦) مذكرات مصطفى كامل : ملف ٢٥ تلغراف رقم ٧٧ .

(127) Cromer : Op. Cit., P. 57 - 58.

(١٢٨) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

اذا لم يسحب انتقاداته وطلبا منه تقديم الثناء والاعتذار للضباط الانجليز (١٢٩) فاندهش الخديو لتطور المسألة عند هذا الحد ، وأحس أن الغرض من ذلك هو احراجه والضغط عليه فأراد المعارضة ولكن رياض باشا أوضح له خطورة الحالة وأن النتائج ستكون وخيمة العقبى اذا لم يقدم الترضية اللازمة (١٣٠) كما ذكر له أن قنصل فرنسا يرفض التدخل وينصح الخديو بالاستسلام (١٣١) .

والواقع أن قنصل فرنسا قد حاول الضغط على كرومر للحصول على شروط أيسر للخديو ولكن كرومر أصر على أنه لا يقبل غير الشروط التى أعلنها ، ولذلك اقتصر عمل القنصل الفرنسى وقنصل الروسيا على استخدام نفوذهما للتوفيق بين الطرفين (١٣٢) .

وتشاور الخديو فى الأمر مع بطرس غالى ونوبار باشا ثم أمر بأن يرسل رياض باشا برقية الى تجران باشا ناظر الخارجية لابلاغها الى كرومر ومضمونها أن الخديو قد اندهش من تطور الأمور وأنه يحتفظ لنفسه فى تقرير حقيقة الواقع فيما بعد ، ولما كان يهمه ألا يكون هناك أى شك فى رضائه لجيشه . فانه يكرر صدور الأمر للسردار للاعراب عن رضائه عن الجيش وعظيم الامتنان الذى شمله عند مفقده له (١٣٣) .

ولما وصلت كرومر هذه البرقية اعتبرها غير كافية للترضية

---

(١٢٩) محمد على علوبة : المخطوط السابق ، ص ٣٧٠ .

(١٣٠) جوليت آدم : انجلترا فى مصر — ترجمة على فهمى كامل ، ص ١٤٢ .

(١٣١) ذكر عباس الثانى أن ما ذكره رياض غير صحيح وانه علم من المسيو دى ريفرسو أن رياض لم يقابله .
جريدة المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٤ مايو ١٩٥١ .

(132) Cromer : Op. Cit., P. 58.

(١٣٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

الكاملة وأصر على أن يصدر الخديو منشورا يعرب فيه عن رضائه عن أحوال الجيش فى الحدود وعن الضباط الانجليز الذين يقومون بتدريبه، وأن يبعد ماهر باشا عن الجيش كما أصر كرومر على أنه فى حالة اذا ما أراد الخديو تقديم أى شكوى ضد الضباط الانجليز فعليه أن يقدمها للقائد العام لجيش الاحتلال (١٣٤) .

وقد قابل رياض الخديو بالفيوم وأخبره بمطالب كرومر وبخطورة الموقف فأراد المعارضة ، ولما علم أنه لم يسمح له بمواصلة السفر من الفيوم الى القاهرة الا اذا اعتذر (١٣٥) أصدر تصريحا بالفرنسية نصه : « قبل أن أترك الوجه القبلى وأعود الى مصر ، أريد ان اكرر ما أظهرته من العناية وحسن الالتفات للجيش عند زيارتى للحدود ، وأثبت حسن رضائى الذى أبديته لكم من جهة حسن حالة الجيش ونظامه ، وانى لمسرور من أن أهنىء الضباط الذين يرأسونه مصريين كانوا أو انجليز ، وانى لمرتاح أيضا بأن أقدر الخدمات التى أداها الضباط الانجليز لجيشى وأملنا أيها السردار أن تعلنوا أمرنا هذا على الضباط والعساكر »(١٣٦) .

ولما كان نص هذا التصريح قد نشر بالفرنسية فقد أصر كرومر على نشره بالعربية فأجيب الى طلبه (١٣٧) ولما أصر كرومر على ابعاد ماهر باشا عن نظارة الحربية أجابه الخديو الى طلبه وعينه محافظا للقنال (١٣٨) .

وبذلك أذعن الخديو لما طلبه كرومر وأصيب نفوذه من جراء

---

(١٣٤) نفسه .

(١٣٥) محمد على علوبة : المخطوط السابق ، ص ٣٨ .

(١٣٦) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(١٣٧) نفسه .

(138) La Réforme : 27 Janvier 1894.

ذلك بضربة قوية كما تصدعت هيبته فى نفوس أفـراد الجيش الذين أدركوا أن سلطة السردار أقوى من سلطة الخـديو ، وأن خضوعهم لسيطرة الانجليز هو السبيل الى الترقى ، وانتهى الأمر بأن أصـبح العساكر والضباط المصريين لا يعرفون رئيسا عسكريا لهم سوى كتشنر باشا ولا رئيسا سياسيا سوى اللورد كرومر (١٣٩) » .

هـذا هو الحادث المعروف بحادث الحدود ، ولكى يخفف الخديو من الصدمة ويقلل من وقع الحادث أمام الرأى العام الانجليزى ويقلل من هجوم الجرائد الانجليزية عليه أرسل تقرير سرى عن الحادث الى ملكة بريطانيا يدافع فيه عن نفسه فذكر أنه عندما استعرض الحاميات العسكرية فى أسوان وكورسكو ووادى حلفا أثنى عليها بصـفة عامة غير أنه انتقد ما وجده من اهمال فى الأورطتين الثانية والحادية عشر وأنه لم يقصد من وراء انتقاده سوى اظهار أخطاء مؤقتة لفتت نظره ووجهها دون أن يقصد من ذلك اهانة الضباط الانجليز (١٤٠) .

ويتضح لنـا من هـذا التقرير تراجع الخديو عن موقفه العدائى تجاه الاحتلال وخصوصا بعد أن رأى عدم جدية فرنسا فى مسـاندته وتهديد الانجليز له باحلال شقيقه الأصغر محمـد على مكانه (١٤١) . أما عن الأزمة فيتضح استغلال كرومر للحادث استغلالا يدل على تمتعه بمهارة سياسية واحاطة تامة بكل ما حوله من الظروف . كما يتضـح تضاؤل نفوذ الخديو واشتداد الجفاء بينه وبين رياض باشا الذى لم يقف معه باخلاص (١٤٢) لأن الموقف لم يكن بالخطورة التى صورها له وانه كان من الممكن أن تحل الأزمة بطريقة أفضل لو أن رياض وقف

---

(١٣٩) بشارة نقلا : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

(١٤٠) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(141) Chocheris, J. Op. Cit., P. 259.

(١٤٢) الرافعى : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣١٣ .

بجانبه ، ولم ينصحه بتقديم الاعتذار المهين [١٤٣] لذلك نقم عليه وحاول التخلص منه فى أقرب فرصة كما طلب من الصحف الموالية له مهاجمة رياض لتقصيره فى مساندة الخديو أثناء الحادث ولما أحس رياض بذلك قدم استقالته فى ١٤ أبريل ١٨٩٤ ، وقبل أن يصدر الخديو قراره فى الأمر اتصل بكرومر واستشاره محافظة على وعده للحكومة البريطانية بشأن من سيخلف رياض فأشار عليه بتعيين نوبار باشا .

وزارة نوبار واطلاق يد الانجليز فى الادارة المصرية :

اتضح للخديو بعد حادث الحدود أنه دفع الثمن غاليا فى مناوءته للانجليز فقد فقد فى السنوات الثلاث التى جلس فيها على العرش من السمعة والهيبة والنفوذ الكثير ، وأن مقاومته العلنية للاحتلال سببت له أضرارا قد تودى بعرشه لذلك سلك طريق المقاومة السرية للاحتلال فشجع العناصر المعارضة له سرا بينما أظهر الوفاق مع الانجليز علنا .

وقد تألفت وزارة نوبار فى ١٦ أبريل ١٨٩٤ ، وكان من المتوقع أن تضع هذه الوزارة حدا للعلاقات العدائية بين الخديو وكرومر ولكن كل منهما لم يكن لديه الاستعداد بقبول هذه السياسة ، وكان الخديو يعتقد أن نوبار سيقاوم سيطرة الانجليز على الادارة مثلما قاومها فى وزارته السابقة [١٤٤] ، ولكن ما حدث هو أن نوبار قد اتبع عكس ذلك فسار على سياسة الخضوع الكامل للاحتلال حيث كان قد فقد الكثير من قدرته على المقاومة اذ كان فى السبعين من عمره ويتوقع أن تكون هذه آخر وزارة له ، يضاف الى ذلك أن المنظمات الأرمينية المطالبة بالاستقلال كانت تجد التأييد من انجلترا ، كما أن انجلترا وافقت

---

(١٤٣) جريدة المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٥ مايو ١٩٥١ .

(١٤٤) تعتبر هذه الوزارة هى الثالثة بالنسبة لنوبار فقد كانت الأولى فى عهد الخديو اسماعيل والثانية فى الفترة من ١٨٨٤ — ١٨٨٨ .

اتفق على أن يكون تعيينه مؤقتـا وألا تكون له أى سلطات تنفيذية ، وتكون اتصالاته بمختلف الادارات عن طريق الوزير .

ولمـا قدم نوبار المشروع الى الخديو للموافقة اعترض عليه فهدد نوبار بالاستقالة ، وتحت ضغط كرومر قبل الخـديو المشروع وتحقق للانجليز السيطرة على وزارة الداخلية مما أدى الى استياء الخـديو من نوبار .

وقد وصلت العلاقة بين الخديو ونوبار الى درجـة الأزمة حين مرض الخديو اسماعيل بالسرطان وأرسل الى حفيده عباس الثانى لكى يأذن له بالعـودة الى مصر مراعاة لصحته وشيخوخته [١٤٩] حيث أن هواءها يوافقه ولأن الأطباء رأوا ضرورة مغادرته للآستانة [١٥٠] .

ولمـا كان الخديو يميل الى تحقيق هـذه الرغبة خصوصا وأنه كان يحب جده حبا شديدا [١٥١] تباحث مع النظار فى ذلك ثلاث مرات ولكن مجلس النظار برياسة نوبار رفض فكرة عودة الخديو السـابق اسماعيل الى مصر حتى لا يسبب ذلك أزمات سياسية مع الانجليز [١٥٢] ومع الدول التى اشتركت فى خلعه ، ولمـا أصر الخديو على طلبه أصر النظار على موقفهم ، ولمحوا بأنهم يفضلون الاسـتقالة اذا لم يحترم الخديو رأيهم ، فغضب عباس على نوبار وحاول التخلص منه بمضاعفة الحملات عليه فى الصحف ، ولكن كرومر كان يرى أن أى تغيير وزارى فى هـذه الظروف يجعل المصريين يدركون أنهم لا يستطيعون البقـاء فى مناصبهم اذا لم يتعاونوا مع الخديو ضد الاحتلال فطلب التأييد من

---

(١٤٩) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣١٣ — ٣١٤ .

(١٥٠) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(١٥١) مذكرات الأميرة جويدان زوجة الخديو عباس الثانى . القاهرة الهلال العدد ٣٥٦ فى اغسطس ١٩٨٠ ، ص ٨٢ .

(152) La Réforme : 14 Février 1895.

الحكومة البريطانية فأبلغته بأنهـا لا ترى داعيا لأى تغيـير وزارى فى الوقت الحالى ، وأنه لو حدث ذلك ستعتبره موجها ضدها ، وعلى الخديو أن يتحمل النتائج المترتبة على ذلك .

ولمـا كان التهديد بالعزل واضحا فى تلك اللهجة أنكر الخـديو رغبته فى تغيير الوزارة وكانت هـذه هى المرة الثالثة التى ينهار فيهـا الخديو أمام كرومر . المرة الأولى فى الأزمة الوزارية ١٨٩٣ والثانيـة فى حادث الحدود ١٨٩٤ وقد ترتب على هـذه الأزمة نتيجتين هما :

١ ـ ضرورة أن يتبع الخديو نصيحة وزرائه .

٢ ـ استشارة الخديو لكرومر قبل عزل وزرائه (١٥٣) .

وقد استغل كرومر ذلك الوضع وطالب بتشكيل محكمة مخصوصة لمحاكمة من يعتدى على أفراد جيش الاحتلال فأرسل الى الحكومة المصرية ما خلاصته « أن القانون الدولى يخول لجيش الاحتلال اقامة الأحكام العرفية على جميع الذين فى مصر من وطنيين وأجانب لمحاكمة المعتدين على جنودنا لذلك فانى أرى اقامة محكمة مخصوصة ، وأطلب تشكيلها من خمسة أعضاء ثلاثة انجليزووطنيين اثنين برياسة السيرسكوت(١٥٤)» وعقب ذلك صدر قانون فى ٢٥ فبراير ١٨٩٥ بتشكيل هذه المحكمة لتحكم فيما يقع من الأهالى من الجنايات والجنح على عساكر أو ضباط جيش الاحتلال أو على البحرية الانجليزية (١٥٥) .

---

(١٥٣) المسدى : المرجع السابق .

(١٥٤) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(١٥٥) انتهز كرومر فرصة اشتباك ثلاثة من البحارة الانجليز مع بعض الوطنيين فهول من شأن هذه المشاجرة البسيطة واعتبرها اثرا من آثار التعصب الدينى ، وعقد النية على تشكيل محكمة عسـكرية لمحاكمة المعتدين .

احمد شفيق : المرجع السابق : ص ١٨٧ .

وقد أحدث ظهور هـذا القانون ضجة كبيرة فى الأوساط الوطنيه حيث يعتبر انتهاكا لسلطة القضاء المصرى وتثبيتا لأقدام الاحتلال فهاجمه مصطفى كامل فى مقال له تحت عنوان « صواعق الاحتلال »[١٥٦] كما أرسل الشيخ على يوسف بعريضة الى الخديو يطلب فيها الغاء القانون الصادر بتشكيل هذه المحكمة « حتى يزول هـذا العيب الكبير المشوه لنظام القضاء المصرى »[١٥٧] ولكى يصبح كرومر الحاكم بأمره فى مصر لم يبق أمامه سوى تعيين وزارة أكثر خضوعا للاحتلال ، وقد ساعده على ذلك الجفاء القائم بين الخديو ونوبار ، وتدهور صحة نوبار بعد أن أصيب بكسر فى قدمه[١٥٨] .

وقد قدم نوبار استقالته فى ١١ نوفمبر ١٨٩٥ بعـد استشارته لكرومر فى ذلك فخلفه مصطفى باشا فهمى وكانت عودته لرئاسة الوزارة دليلاً على قوة نفوذ كرومر لأن مصطفى فهمى كان صديقا وفيا للانجليز ، وكانت بعض الصحف تسميه « سير مصطفى فهمى »[١٥٩] .

وقد ألف مصطفى فهمى وزارته الجديدة فى ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ دون تعديل فى الوزراء الذين كانوا فى وزارة نوبار[١٦٠] وتعتبر هذه الوزارة وزارة استسلام وخضوع للاحتلال وقد ظلت فى الحـكم حتى نوفمبر ١٩٠٨ أى أنها دامت ثلاثة عشر عاما لذلك يطلق عليها بعض المؤرخين اسم الوزارة الطويلة لأنها أطول الوزارات عمرا فى تاريخ مصر الحديث

---

(١٥٦) الأهرام : فى ٤ مارس ١٨٩٥ .

(١٥٧) محافظ عابدين : ديوان خديو — محفظة رقم ١٢ التماسات جماعية .

(١٥٨) بينما كان نوبار يتفقد اطيانه فى شبرا وقع وانكسرت رجله. نجيب مخلوف : المرجع السابق ؛ ص ١٨٥ .

(159) l'Echo d'orient : 14 November 1895.

(١٦٠) أحمد شفيق : المرجـع السـابق جـ ٢ — القسم الأول ، ص ١٧٩ — ١٨٠ .

وفى عهد هـذه الوزارة تمكن كرومر من تعيين نائب عمومى انجليزى وأصبحت سلطة النيابة وهيئتها تحت تصرفه كما صدر فى عهد هـذه الوزارة مرسوم بتأسيس البنك الأهلى (١٦١) .

ومما سبق يتضح أن السياسة التى اتبعها كرومر تجاه الخـديو أدت الى فقد الخديو للكثير من سلطاته وأوضحت له بأنه لا جدوى من المقاومة العلنية للانجليز فقد خسر الكثير مع الانجليز أثناء مقاومته لهم جهارا فى الأزمة الوزارية وحادث الحدود .

ولذلك اتبع الخديو سياسة الوفاق مع الاحتـلال علنا وتشجيع الحركات المناوئة للاحتلال سرا .

---

(١٦١) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣١٤ .